



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

■ الحارس

تغربُ الشَّمْسُ. والمروجُ تشتعلُ.

النَّهَارُ الضَّائِعُ، النُّورُ المفقودُ.

لِمَ أَحَبَّ الَّذِي يَحْبُو؟

أَنْتَ يَا مَنْ ذَهَبْتَ، أَنْتَ يَا مَنْ تَرَحَّلْتُ،

أَيُّ عَرَفٍ مَعْتَمَةٍ تَقْطُنُ؟

يَا حَارِسَ مَوْتِي،

يَا حَافِظًا غِيَابِي. إِيَّتِي حَيًّا.

■ في خلوة البيت

تريدُ أن تنظرَ إلى نفسك جيِّدًا. تقفُ أمامَ مرآةٍ، تخلعُ سترتك، تفكُّ أزرارَ قميصك، تحلُّ حزامك، ثم تفتحُ سحابَ السروال. تسقطُ عنك الثيابُ الخارجيّةُ. تخلعُ نعليك والجوربين، وتعزّي قدميك. تشلحُ ثيابك الداخليّة. ثم ذاهلاً، تنقرّي



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

المرآة، وقد أعييتك الحيلة. ها أنت هناك، ها إنك لست هناك.

■ الفستان

تمددي على التلّة البرّاقية

ويدُ القمرِ على خدّك،

جسدك عميقٌ في طيّاتِ فستانك البيضاء،

لن تسمعي الخُلْدَ الشهواني

وهو يطيلُ عتمه،

أو البومَ وهو يهيئُ الليلَ كلّه

(الليلَ الذي هو حكمته) أو القصيدة

التي تملأُ وسادتكِ بريشاتها الزرقاء.

ولكنك لو خطوتِ خارجَ فستانكِ وتحركتِ في الطلّ،

فسوفَ يعثرُ عليكِ الخلدُ، ويعثرُ عليكِ البومُ، وتعثرُ عليكِ القصيدة،

وسوفَ تسقطينَ في عتمةٍ أخرى، تلك التي سوفَ تجدينَ



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

نفسكِ تخلفيتها وتعيدين خلقها حتى تكتمل.

■ شتاء في المكتبة الشماليّة

يساقطُ الثلجُ، وبملاً

الحقولَ التي أضاءها القمرُ.

وطيلةَ الليلِ نسمعُ

الريّحَ على أكوامِ الثلجِ

فنفكُّ في الهروبِ

من هذي الغرفة، هذا البيتِ،

ومديّاتِ أنفُسنا

التي غيّمها الشتاءُ.

سراخِسُ وأزهارُ شاحبةُ

تتكوّنُ على النوافذِ



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

مثل تَذَكِّراتٍ عابسةٍ

لصيفٍ تبدّد.

تطبقُ الجدرانُ.

تتمدّدُ منفردينَ طيلةَ الليلِ،

نفكّرُ في أينَ نحنُ.

ولا مكانَ نمضي إليه.

■ حكاية نجاح

لو عرفْتُ في البدءِ بأنَّ المُرتقى سيكونُ بطيئًا، وشاقًّا، ومضجّرًا فَيِنَّهُ بعدَ أُخرى، لآخترتُ السَّيرَ على طولِ أحدِ الوديانِ المحليَّةِ، مُسَلِّمًا نفسي إلى وجهاتِ نظرٍ محدودةٍ، وأفكارٍ بَحْسَةٍ، وحياءٍ لم تُلهم أيا من خيباتِ الرِّجاءِ الأسمى.

ولكن، أتى لي أن أعرفَ؟ بدتِ الأرضُ في البدءِ مستويةً، وكانتِ الخُطى واسعةً. وليسَ إلاَّ شيئًا فشيئًا حتَّى أصبحتُ مدرّكًا للصَّعود؛ صارَ الدَّهَابُ أشدَّ، فصرتُ ألهُتُ، وكانتِ الوقفاتُ القصيرةُ متواترةً. كنتُ كثيرًا ما أقتفي آثارَ حطوي ثانيةً حتَّى وجدتُ سبيلًا يُرَجى منه الخيرُ مزيدًا.



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

واصلتُ عبرَ كلِّ الفصولِ وأستطيعُ تذكّرَ كيفَ بدتُ يائسَةً مجازفتي آناءَ ليالي الشّتاءِ الطويلةِ تلكَ وكيفَ كانَ عليّ،
أثناءَ الرّبيعِ حينَ وهنتُ عزيمتي، أن أتخيّلَ الشّتاءَ ثانيةً، البردَ، والوعثاءَ.

ولو كانتِ ثمّةَ أوقاتٍ خامرتني فيها ريبُهُ الوصولِ، فإنّني أعرفُ الآنَ بأنّ مخاوفي كانتِ باطلةً، فها أنا ذا، في عنفوانِ
جسدي، أشعرُ بيبابِ السّماءِ الأزرقِ العظيمِ يطوفُ بمُرتقى مأثرتي. أيّ مزيدٍ هناك؟ أحسبُ نفسي بينَ المُباركينِ.
فحياتي كلّها في التّزولِ.

■ قصيدة عن الرّقص

إلّهم يرقصون الآنَ

كاملين في الهواءِ، يبدو ذلكَ،

ترفعهم أجواءُ

من حشمةٍ خالصة.

جذلين في فيضِ

ما يلبسونَ، نفكّرُ



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

في أنهارٍ خفيفةٍ بعيدةٍ الاحتمالِ،

تجري في الهواء.

لا تعبَ يصحبُ

بهجتهم؛ إنهم يرقصونَ في غايةِ الحُسْنِ

فتنهضُ ظلالهم وتفتحُ على طولِ

الجدرانِ،

نبتهُجُ

لأننا نشعرُ بثقلنا يتجددُ

حولَ عظامنا وفي

كراسينا،

لأننا لن نبددَ حيواتنا

البئّةِ راقصينَ،

“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)



راقصين على (أنغام)

نهاية سافلة

غير موسيقيّة.

■ ضرب من الوهن

إنه يكبر عليك. على مهله. شيئاً فشيئاً. حتى لا تكاد في البدء أن تراه. وفي آخر المطاف، بالطبع، لا تستطيع أن تفتقده. إنه يتفتح. تأخذ إليه أي عضو طبيعي من نفسك كيف تشاء. إنه يأخذ في أن يصحّ جميلًا فتبدد ساعات وأنت مستغرق في الفكرة عنه.

تسوء الأمور كثيرًا لأنك تقضي أيامًا بأكملها أمام مرآة ثم أخرى، مستديرًا على هاتيه الشاكلة وتلك، لتحصل على الزاوية المناسبة ليس إلا، تاركًا الضوء يسقط على هواه، جاعلاً الأثر أكثر حدة. تسمع لأصدقائك بالمجيء لينظروا. “أحبني، أحب هذا”، تقول. ثم تشير.

يتحدث الجميع عنه. ثم يخرج عن السيطرة، شيئاً فشيئاً، فلم تعد تستطيع العثور على طريقة لإبراز مزاياه. تشعر بالخدعة. تكره نفسك. تغطي مرآيك بستائر قاتمة. ترفض أن ترى أصدقائك. لا شيء يعمل. إنه يظل. إنه يأكلك.



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

■ تجوال

ولأنتني وصلتُ عبرَ البابِ ذاتهِ
الذي تركتهُ، رحلتُ ثانيةً.
حفظتُ أسبابي عن ظهرِ قلبٍ،
ولم أفقدِ السبيلَ حيثُ كنتُ أمضي قطّ.

أن أرحلَ وأصل، أن أصلَ وأرحلَ
كانَ كلُّ الذي في البالِ.
كانت بواعثي بسيطةً بما يكفي—
مشيتُ من أجلِ التَّجوالِ.

حاصلُ حركتي العاصفُ،

أدهشتني نفسي

في العبورِ. واكبْتُ حَطْوً



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

الذي كُنْتُه. آه، كنتُ أندفعُ،

أو فكَّرْتُ بأبِّي كنتُ، حتَّى رأيتُ

المسافة التي توجَّبَ عليَّ أن أقطعها

فرحْتُ على نحوٍ أرتابُ

بأنَّ ماضيَّ كانَ يلحقني.

أسرعتُ، غيرُ راغبٍ في رؤيةِ نفسي

تغادرُ قبلَ وصولي

حينَ، في بعضِ الأحيانِ أثناءَ تعجُّلي

الرجوعَ، شعرتُ بأنَّ نفسي تحاولُ.

■ الحادثة

يدهسني قطارُ.



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

أرثي لحال

المهندس

الذي ينحني

ويهمسُ في أذني

بأنه بريء.

يسمُحُ جيبني،

ينفُحُ الرَّمادَ

عن شفّتي.

وفي هواءِ المساءِ

يتصعّدُ دمي،

ويغبّسُ نظّارتيه.

يهمسُ في أذني

تفاصيلَ حياته—



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

بأنّ لديه زوجة

وطفلٌ يحبُّهما،

وبأنّه كان مهندساً

أبداً.

يتكلّم

حتى يجعلنا شعاعُ

المصباحِ الكاشفِ لأحدهم أبيضين.

يقفُ.

ينفضُ سترتهُ

ويأخذُ في الرّكضِ.

تطقطقُ الجمازُ

تحت نعليه الطّويلين،

والهواءُ باردٌ

وثقيلٌ



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

على وجنتيه.

وفي البيتِ يجلسُ

في المطبخ،

محدِّقًا في العتمة.

وجهُهُ متورِّدٌ،

ويداهُ مرصوصتانِ

بينَ ركبتيه.

يراني ممدِّدًا،

بلا حراكٍ

قُربَ السكَّةِ

وئوارٍ أنفاسيَ

الشَّاحِبُ

قد جُرفَ بعيدًا!



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

الحقولُ تتقوسُ

تحتَ الملاءِ الثقيلةِ

للريحِ

والعصافيرُ تتناثرُ

في روافدِ

الشجرِ.

يهرعُ خارجًا

منَ البيتِ،

يرفعُ حطامَ

جسدي بين ذراعيه

ويعيدني.

أستلقي في السريرِ.



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

يضعُ رأسَهُ

قُربَ رأسي

ويخبرني

بأنني سأكونُ بخير.

ضوءٌ شاحبٌ

يلمعُ في عينيه.

أصغي إلى الرِّيحِ

وهيَ تضربُ بقوةٍ على البيتِ.

لا أستطيعُ النومَ.

ولا أستطيعُ أن أظلَّ مستيقظاً.

المصاريعُ تخبطُ.

ونهايةُ حياتي تبدأ.

■ ساعي البريد



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

إِنَّهُ مُنْتَصِفُ اللَّيْلِ.

يَظْهَرُ فِي المَمْشَى

وَيَطْرُقُ البَابَ.

أَهْرَعُ لِتَحِيَّتِهِ.

يَقِفُ مُنْتَحِبًا هُنَاكَ،

وَيَهْرُ رِسَالَةً نَحْوِي.

يَخْبِرُنِي بِأَنَّهَا تَحْتَوِي

عَلَى أَخْبَارٍ شَخْصِيَّةٍ مَرْعَبَةٍ.

يَخْرُ عَلَى رَكْبَتَيْهِ.

“سامحني! سامحني!” يتوسَّلُ.

أَسْأَلُهُ الدَّخُولَ.

يَمْسُحُ عَيْنَيْهِ.

بَرْنَةُ الكَحْلِيَّةِ



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

كبقعة حبرٍ

على أريكتي القرمزية.

عاجزًا، متوتّرًا، وصغيرًا،

ينكّوم مثلَ كرةٍ

وينامُ فيما أُحِبُّ

مزيدًا من الرسائلِ إلى نفسي

على ذاتِ المنوالِ:

“سوفَ تحيا

مُتخَنًا بالآلامِ.

وسوفَ تغفُرُ.

■ الرّجل في الشجرة

جلستُ في الأوصالِ الباردةِ لشجرةٍ.



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

لا ثيابَ عليّ وكانتِ الرِّيحُ تعصفُ.

وقفتِ أسفلَ في معطفكِ الثَّقيلِ،

المعطفِ الذي كنتِ تلبسينِ.

وحيثَ فتحتِه، كاشفةً صدركِ،

فَرَعْتُ، وأبًا كانَ الذي قلتهِ

في تلكَ اللحظةِ قد اسَّاقطَ هادئًا على الأرضِ،

الأرضِ التي حولَ قدميكِ.

طفا ثلجٌ من الغيمِ في أذنيّ.

والعتُّ الذي مِن معطفكِ قد طارَ في الثلجِ.

والرِّيحُ لَمَّا تحرَّكتِ تحتَ ذراعيّ، تحتَ ذقني،

نأوّهتُ كطفلٍ.

لن أعرفَ البتّةَ لماذا



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

تحوّلت حياتنا إلى الأسوء، ولا حتّى أنتِ.

غرق الغيم في ذراعيّ فقامت ذراعاي.

إنّهما تنهضان الآن.

أتمايلُ في الهواء الأبيض للشتاءِ

وصرخه الرّزورِ مطروحةً على جلدي.

حقلُ سراحسَ يغمُرُ نظّارتي؛ أنفضها بعيدًا

كي أراكِ.

أستديرُ فندورُ الشجرةُ معي.

ليست الأشياءُ أنفُسَها في هذا الصّوءِ فحسبُ.

تُغمضينَ عينيكِ فيسقطُ

المعطفُ من فوقِ كنفيكِ،

وتنسحبُ الشجرةُ مثلَ يدٍ.



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

تصيرُ الرِّيحُ أنفاسي، ولا شيءَ يقينًا بعدُ.

والقصيدةُ التي سرقتها هذي الكلماتُ من فمي

قد لا تكونُ هذي القصيدة.

■ سفينة الأشباح

عبرَ الشَّارعِ المزدحمِ

تطفو،

حمولُها

الغامضةُ كالرِّيحِ.

تنسابُ

عبرَ حُزنِ



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

الأحياء الفقيرة

إلى الحقول القصية.

بطيئًا،

الآن قرب ثورٍ،

الآن قرب طاحونة هوائية،

تسيرُ.

عابرةً

في الليلِ كحلمٍ

الموتِ،

لا يمكنُ أن تُسمعَ؛



“قصائد سرقتها الكلمات من فمي”... مختارات لمارك ستراند (ترجمة)

تحت النجومِ

تتسللُ.

يحدِّقُ

طاقمها

والركابُ؛

أبيضَ منَ العظمِ،

عيونهم

لا تُغمَضُ أو تدورُ.

مارك ستراند (1934- 2014) Mark Strand، شاعر أميركي ذائع الصيت. من كتبه: النوم بعين مفتوحة (1964)، وقصة حياتنا (1973)، والساعة المتأخرة (1978)، والأثر الباقي (1978)، وميناء معتم (1993)، والإنسان والجمل (2006)، وكأنه محتجب (2012).

الكاتب: تحسين الخطيب